وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

وقفات قرآنية للبناء الحضاري للإنسان

(قصّة عيسى عليه السّلام أنموذجًا)

اسم الباحث/ـة

د/ إلياس شلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فتعتبر الهدايات القرآنية مصدرًا غنيًا بالحكم والأخلاق والتوجيهات التي تمتد إلى جميع جوانب الحياة، حيث يُعتبر القرآن الكريم الكتاب الإلهي الذي جاء ليكون هدياً للبشرية، ويهدف إلى توجيه الإنسان إلى الطريق القويم وتحقيق السعادة الدنيوية والآخرة.

ومن بين الشخصيات التي تبرز في القرآن الكريم بقوة هو سيدنا عيسى عليه السلام، الذي جاء برسالة من الله لتوجيه البشرية نحو الخير والصلاح، وتمثل قصة سيدنا عيسى عليه السلام في القرآن الكريم إحدى القضايا القيمة التي تعطينا فهمًا عميقًا للعديد من القيم الإنسانية والأخلاقية، ومن خلال فهم أهمية تطبيق هذه القيم في بناء الحضارة،

ولأهميّة هذا الموضوع وحاجة المجتمع إلى النظر في البناء الحضاري للأمّة الإسلاميّة رأى الباحث أن يتناول ما استيسر من هذا البحث تحت عنوان **"وقفات قرآنية للبناء الحضاري للإنسان قصّة عيسى عليه السّلام أنموذجًا"**، وذلك وفق الخطّة التاليّة:

مقدّمـة.

المبحث الأوّل: الجانب التعبّدي والإيماني لسيّدنا عيسى عليه السلام وأثره في البناء الحضاري للإنسان.

المطلب الأوّل: الدعوة إلى التوحيد

المطلب الثاني: رفض الألوهيّة.

المطلب الثالث: التصديق بالرسالات السابقة والتبشير بالرسالة الخاتمة.

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي والأخلاقي لسيّدنا عيسى عليه السلام وأثره في البناء الحضاري للإنسان.

المطلب الأوّل: الجماعة وأثرها في البناء الحضاري للإنسان

المطلب الثاني: الدعوة إلى إعمال العقل البشري من خلال المعجزات.

المطلب الثالث: البر بوالدته.

خاتمة:

المبحث الأوّل: الجانب التعبّدي والإيماني لسيّدنا عيسى عليه السلام وأثره في البناء الحضاري للإنسان.

يتناول هذا المبحث بيان أهميّة الجانب التعبّدي الذي دعا إليه سيدنا عيسى عليه السلام ودوره في الرقي والبناء الحضاري للإنسان وقد تناولته من خلال ثلاثة مطالب:

الأوّل: في بيان دعوة عيسى عليه السلام إلى التوحيد.

والثّاني: في بيان رفض عيسى عليه السلام للألوهيّة التي نسبت إليه.

أمّا الثالث: فقد جاء في بيان تصديق عيسى عليه السلام بالرسالات السابقة وتبشيره باللاحقة.

المطلب الأوّل: الدعوة إلى التوحيد: إنّ الدعوة إلى توحيد الله تعالى هو الأساس المتين والقوة الروحيّة التي تساهم بشكل كبير في البناء الحضاري للإنسان، وقد جاء سيّدنا عيسى عليه السلام كغيره من الأنبياء لبيان ذلك والدعوة إلى الله وإقامة الحجّة والبرهان لبني إسرائيل، فالدعوة إلى الله تعالى تشمل توحيده وتقواه والإيمان به وبما أنزل على أنبيائه،

وقد جاءت آيات القرآن الكريم مبيّنة لهذا الجانب منها قوله تعالى:﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة:٧٢]؛

فدعوة عيسى عليه السلام إلى توحيد الله تعالى ونبذه للشرك كانت صريحة وواضحة، فالدعوة إلى التوحيد تسمو بالإنسان من الحياة البهائميّة إلى بناء الحياة الراقيّة والسمو بتفكيره من الماديات إلى المثاليّة، فالإنسان إذا ما استقرّ التوحيد في قلبه كان باعثاً له على التطوير من ذاته والارتقاء بنفسه ونفع نفسه وغيره في العديد من المجالات، وقد كرّر عيسى في دعوته إلى الله بالتقوى والتي هي مظهر من مظهر الإيمان قال تعالى:﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ

يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [سورة المائدة:١١٢]، **اختلف العلماء في تفسير الآية على قولين:**

أحدهما: أنّ سؤال الحواريين كان من باب المجاز لا التشكيك في قدرة الله تعالى واعتبروها مثل: أن تقول لصاحبك هل تستطيع أن تأتي معي مع علمك بأنّه يستطيع، ولذلك أمرهم عيسى عليه السلام بتقوى الله ليستجيب لهم ما سألوه.

أمّا الثّاني: فقالوا بأنّ الحواريين وقعوا في الغلط عندما سألوا عيسى عليه السلام هذا السؤال ولذلك جاء ردّ عيسى عليهم بأن يتقوا الله لأنّ في سؤالهم تعنّت وتشكيك في قدرة الله تعالى(١).

وعلى القولين فالنتيجة واحدة وهي الدعوة إلى تقوى الله سواء وقع الغلط أم ليكون تأدبًا مع الله تعالى في دعائه وسؤاله للنعم.

المطلب الثاني: رفض الألوهيّة: لم يكتف عيسى عليه السلام بالدعوة إلى توحيد الله تعالى بل أنكر ما نسبه إليه النصارى من اعتقادهم بأنّه وابن للإله، ورفض كل ما يضاف إليه ممّا يخرجه عن طوق العبوديّة لله ويرفعه إلى الألوهيّة ونقد نفى كل صلّة له بالألوهيّة لا من قريب ولا من بعيد(٢) وأكّد على بشريّته وأنّه عبد لله ونبيّه **قَالَ تَعَالَى:** ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة مريم:٣٠] **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

---

(١) ينظر: لباب التأويل في معني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الخازن، تحقيق: محمّد علي شاهين (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط١، ١٤١٥هـ)، ج٢/ ص٩١-٩٢؛ التفسير البسيط، أبو الحسن علي النيسابوري، تحقيق: لجنة علميّة بجامعة الإمام محمّد بن سعود (السعوديّة: جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، ط١، ١٤٣٠هـ)، ج٧/ ص٥٩٠.

(٢) ينظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود ابن فرج الرحيلي، (السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلاميّة المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ج١/ ص٢٣٣-٢٣٤.

[سورة المائدة:١١٦]، ذهب جمهور المفسّرين إلى أنّ السؤال إنّما يكون يوم القيامة بدليل سياق الآية اللاحقة ففيه تبرئة لعيسى عليه السلام ممّا نُسب إليه من النصارى ودلت الآية على صدق عيسى عليه السلام في دعوته إلى الله تعالى.

فالدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك أوّل الأسس والمعالم الإيمانيّة التي تسمو بالتفكير الإنساني وترتقي به إلى البناء الحضاري فلا يبقى الانسان أسيراً لمعتقداته الماديّة ولا لمعتقداته الفاسدة التي ورثها عمّن سبقه؛ فالإنسان الموحّد لله تعالى يدفعه التوحيد نحو البناء الحضاري.

ويمكن تلخيص أهم العناصر الناتجة عن التوحيد وأثره في البناء الحضاري:

١- الرقي الأخلاقي من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فالمتمسّك بالعقيدة الصحيحة يسعى إلى بذل وسعه في نشر الخير ودرء الشرّ بين الناس، كما أنّ التوحيد قوّة عاصمة تدفع المرء إلى الابتعاد عن الرذائل والتمسّك بالقيم[١]

٢- السكينة وطمأنينة القلب: فالتوحيد إذا تمكّن من القلب واستقر بعث في النفس الطمأنينة والسكينة والاستقرار، فيكون التوكّل على الله قائما في نفس المؤمن ويجعله يسعى إلى النفع الدائم لغيره والتواصل المطلق مع ربّه.[٢]

المطلب الثالث: التصديق بالرسالات السابقة والتبشير بالرسالة الخاتمة:

إنّ الدّين عند الله واحد ورسالاته متكاملة، وذلك ما دلّ عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلّم: (الأنبياءُ إخوَةٌ لعَلَّاتٍ: دِينُهم واحِدٌ، وأُمَّهاتُهم شَتَّى، وأنا أوْلى النَّاسِ بعيسى ابنِ مَريمَ). [٣]

---

[١] ينظر: اسهامات السنة النبوية في بناء الحضارة الإنسانية، عفاف عبد الغفور، مجلة معارف القرآن والسنة، العدد الأوّل، ٢٠٠٥م، ص١٤٢-١٤٣.

[٢] ينظر: المنظومة المتكاملة في بناء الحضارة الإنسانية، أشواق حسن علي الأبيض، مجلة أبحاث، العدد الأول، مارس ٢٠٢٣، ص١٧٠.

[٣] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب "واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها"، محمّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر (لبنان: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٤/ ص١٦٧، رقم: ٣٤٤٣

فقد جاء عيسى عليه السلام مصدّقا لما سبقه به موسى عليه السلام فقد أتمّ ما بين يديه من التوراة وصدّق بما أنزله الله عليه من الإنجيل فكان من تمام دعوته إلى التوحيد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة مريم:٤٦]. ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [سورة مريم:٣١] ؛ ثمّ بيّن بعض الشرائع التي فرضها الله عليه وعلى قومه وأمرهم بها، ولم يتوقّف عند ذلك الحدّ بل بشّرهم بالنبي محمّد صلى الله عليه وسلّم مثبتاً في ذلك بأنّ الدّين واحد عند الله وأنّ الله بعث أنبياءه ورسله لذلك الهدف قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [سورة الصف:٦]؛ فالتصديق بما جاء سابقاً لرسالة عيسى عليه السلام والبِشارة والتصديق بالرسالة المحمّدية من شأنها أن تبني صرح الحضارة الانسانيّة، فالنبي عيسى عليه السلام لم يأتي مكذّباً لما جاء به الأنبياء السابقين له ولا للنبي اللاحق من بعده، كما أنّه جاء مصحّحا لما وقع فيه قومه من بعد موسى عليه السلام، وهذا يستفاد منه أنّ البناء الحضاري للإنسان بناءٌ تراكمي يصدّق اللاحق منه السابق ويصحّحُ ما طرأ عليه من انحرافات، فيكون بذلك البنيان الحضاري مستمر أوّله لآخره.

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي والأخلاقي لسيّدنا عيسى عليه السلام وأثره في البناء الحضاري للإنسان.

يتناول هذا المبحث بيان أهميّة الجانب الاجتماعي الأخلاقي الذي دعا إليه سيدنا عيسى عليه السلام ودوره في الرقي والبناء الحضاري للإنسان وقد تناولته من خلال ثلاثة مطالب:

الأوّل: في بيان وأثر الجماعة في البناء الحضاري للإنسان.

والثّاني: فقد جاء في الدعوة إلى إعمال العقل البشري من خلال المعجزات، **وجاء المطلب الثالث:** في بيان أهميّة برّ الوالدين وأثره في البناء الحضاري.

المطلب الأوّل: الجماعة وأثرها في البناء الحضاري للإنسان.

إنّ الجماعة لها دور كبير في التمهيد للبناء الحضاري للإنسان؛ ولذلك نجد أنّ كل الأنبياء والمرسلين ومن بعدهم عموماً أكّدوا على اتّخاذ الجماعة للتمكين لدين الله؛ فعيسى عليه السلام كان يستأنس كغيره من الأنبياء بوجود الجماعة الذين ناصروه في دعوته إلى الله تعالى .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢﴾ [سورة آل عمران:٥٢].

قال ابن كثير:"فلمّا استشعر عيسى عليه السلام الكفر واستمرار قوم بني إسرائيل على الضلال قال:﴿ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ قال مجاهد: أي؛ من يتبعني إلى الله"[1] فاستجاب الحواريّون لما دعوا إليه واتّخذهم عيسى عليه السلام طائفة يعوّل عليهم في دعوته إلى الحق،فجماعة الحواريين لها أهميّة في ضرب نموذج للبناء الحضاري ويمكن تلخيص أهم العناصر التي تشهد على ذلك:

١- **تقديم المساعدة والدعم:** وذلك من خلال نصرة النبي عيسى عليه السلام في دعوته إلى الله تعالى وإيمانهم بما جاء به وتأييدهم له.

٢- تبليغ الرسالة: إنّ البناء الحضاري لأي جماعة لا يقوم إلاّ على ركني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يكون منطلقا من دعوة الجماعة للآخرين وهذا ما توفر في دعوة عيسى عليه السلام؛ فبعدما آمن به الحواريون ونصروه وأيّدوه بدأوا بنشر رسالته وتبليغها للنّاس.

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢/ ص٤٦.

٣- الوحدة والتضامن: إنّ وجود الجماعة من شأنها أن تدعم الهدف الذي تسعى إليه، فالنبي عيسى عليه السلام لقي الوحدة والتضامن من خلال موقف الأنصار من دعوته لهم إلى الله تعالى وايمانهم بالله وبنبيّه عيسى عليه السلام وتضامنهم معه عند جحود اليهود لرسالته.

المطلب الثاني: الدعوة إلى إعمال العقل البشري من خلال المعجزات:

إنّ من سنن الله تعالى تأييد رسله وأنبيائه في دعوتهم إليه بالبرهان والدليل القطعي حتى لا يبقى في نفوس متّبعيه شيء من الشك؛ فالدعوة إلى الله تعالى لم تكن عن جهل أو عن خرافات وإنّما كانت موافقة للدعوة إلى العلم وإعمال العقل لزيادة الإيمان به ونصر أنبيائه ورسله، فقد جاءت دعوة عيسى عليه السلام مشتملة على هذا **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الزخرف:٦٣]، أي: بالمعجزات البيّنات الواضحات قالَ عيسى ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ أي: بالإنجيل أو بالنبوة (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيه)، وقد قدّم النبي عيسى عليه السلام لقومه جملة من المعجزات الإلهية حتّى إذا أعملوا فيها عقولهم وصلوا إلى أنّ دعوته دعوة حقٍ لا غبار عليها فلم يكتف عيسى عليه السلام بمجرّد الدعوة وإنّما استند على الدليل المادي؛ وكان تأييد الله تعالى لأنبيائه بما يناسب قومه وزمانه ، -فقد كان قوم سيّدنا عيسى عليه السلام بارعين في الطبّ وأهل معرفة بالطبيعة- حتّى يكون في المعجزات التي آتاهم الله إيّاها سنداً ودعماً لدعوتهم؛ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة آل عمران:٤٩]، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة المائدة:١١٠]، فتأييد الله تعالى لعيسى عليه السلام بالمعجزات التاليّة كان له الشأن العظيم في بيان أحقيّة الدعوة؛ فكان مناسباً تأييده بأنّه يخلق من الطين هيئة فينفخ فيها فتصبح طائرا بإذن الله ويحيي الموتى بإذن الله تعالى وأنّه يبرئ

الأكمه؛ قيل: إنه الذي يبصر ليلاً ولا يبصر نهاراً وقيل العكس، ويبرئ الأبرص؛ فكلّ هذه المعجزات كانت من جنس ما برع فيه قومه من الطبّ فقد تحدّاهم بالدليل العقلي حتّى يبيّن لهم بأنّ ما جاء به من الله تعالى، ف عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن، أو آمن، عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة)(١)

إنّ ممّا يستفاد من تأييد الله تعالى لأنبيائه ورسله بالمعجزات –والتي كانت لا تكاد تخرج ممّا اعتاد عليه وبرع فيه أقوامهم– وتأييده لعيسى عليه السلام دليل واضح على أنّ البناء الحضاري للإنسان حتّى يكون بناء متيناً ورصيناً يجب أن يستند على دلائل وبراهين وأسس حقيقيّة لا خرافيّة يبني من خلالها الانسان حضارته ويزيل بها شكوكه ويعلم في نفسه بأنّ ما يسعى عليه نابع عن حقٍّ وعلمٍ لا من خزعبلات، فتأييد عيسى عليه السلام بجملة من المعجزات كان من شأنها أن تكون بناء حضارياً مكمّلا لما جاء به موسى عليه السلام؛ ويستفاد من تأييده بالمعجزات أنّ البناء الحضاري للإنسان لا يتنافى مع العلم بل فيه دعوة إلى التطوير والبحث للوصول إلى الحق حتّى يكون بناء عن سليما يكمّل سابقه ويكون قاعدة للاحقه.

وممّا يمكن استفادته من خلال ما جاء في وقفات مع سيّدنا عيسى عليه السلام في البناء الانسان الحضاري أهميّة مخاطبة المجتمع الذي يعتبر محور عمليّة البناء بما استقرّ فيه فيكون من جهة تأييدا لما وجد فيه من الإيجابيات وإنّما رفعاً لسقف التحدّي وتِبيانا أنّ فوق كلّ ذي علم عليم، ومن جهة أخرى ردّا على شبهاتهم وتشكيكهم فيما دعوا إليه، فعيسى عليه السلام لم يأت لتهديم ما كان موجوداً بل صحّح الخاطئ منها وأيّد ما كان صحيحاً.

المطلب الثالث: البر بوالدته: يُعتبر بر الوالدين من القيم الأساسية في الإسلام، ويُعد تقدير الوالدين والعناية بهما من أعظم الفضائل التي يمكن للإنسان أن يتحلى بها. ومن خلال تفسير هذه الآية، نرى أن الله سبحانه

(١) صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلّم بعثت بجوامع الكلم، ج٩/ ص٩٢، رقم: ٧٢٧٤.

وتعالى يضع التزام بر الوالدين في مرتبة عالية جدًا، حيث يتم ذكره بعد فرض الزكاة وقبل التنبيه على البر بالوالدة. هذا يُظهر أهمية هذه القيمة في الإسلام والتأكيد على أن الطاعة لله تعالى تأتي باتباعها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الإسراء:٢٣].

فعندما يتحدث القرآن عن برالوالدين، فإنه يشير إلى الاحترام والعناية والطاعة وهي الصفات التي ينبغي للإنسان أن يظهرها تجاه والديه. فالإحسان إلى الوالدين يشمل الاهتمام بشؤونهما، وتقديم المساعدة والدعم لهما في كل الأوقات، وتقدير تضحياتهما، وتوجيههما للحق والخير.(١)

وفي سياق قصة النبي عيسى عليه السلام، نرى كيف أظهر تقديرًا عميقًا واحترامًا كبيرًا لوالدته، مريم عليها السلام. فقد أوجب الله عليه البر بالوالدين وأشار إلى أهمية الاستمرار في ذلك، مما يُظهر لنا مدى الأهمية التي يُوليها الإسلام للعلاقة بين الأبناء ووالديهم،

وكيف يُعتبر احترام الوالدين جزءًا لا يتجزأ من العبادة والطاعة لله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة مريم:٣٢]؛ إن بر عيسى عليه السلام بوالدته ذكره بعد الزكاة، والاستمرار عليها ثم جاء التنبيه على بره بوالدته، وهذا من المقارنة بين طاعة الرب سبحانه، وطاعة الوالدين.(٢)

إنّ ممّا يستفاد منه من قصّة سيدنا عيسى عليه السلام وموقفه من البرّ بوالدته **في البناء الحضاري للإنسان ما يلي:**

١- تعزيز القيم الأخلاقية: بر الوالدين يشجع على التعامل بالإحسان والاحترام مع الآخرين، وهذا يسهم في بناء مجتمع أخلاقي قائم على القيم الإنسانية العالية.

(١) ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه، أحمد بن عبد الله الزهراني (السعوديّة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، د.ط، ١٤١٠هـ)، ص١٣٧-١٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٩.

٢- **تعزيز الروابط الاجتماعية:** عندما يظهر الإنسان برًا لوالديه، يُظهر أيضًا التقدير والاحترام للعلاقات الاجتماعية، مما يعزز التلاحم والتعاون في المجتمع ويعمّق الروابط الاجتماعية.

٣**– بناء الشخصية:** الطاعة للوالدين تعتبر جزءًا من تنمية الشخصية وتقوية الأخلاق، وهذا يؤدي في النهاية إلى بناء جيل قوي ومتوازن يُسهم في تقدم ورقي المجتمع.

٤- **الاستقرار النفسي والعاطفي:** العلاقة الطيبة بين الأبناء والوالدين تُعزز الاستقرار النفسي والعاطفي.

خاتمة:

إنّ من خلال تتبّع قصّة سيّدنا عيسى عليه السلام تتجلى المعادلة التي تقوم عليها بناء الحضارات الانسانيّة والتي بدورها تعتبر نسقاً متكاملاً يشمل عدّة مجالات **ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:**

١- تقوية العلاقة مع الله تعالى والتي بدورها تعتبر أول الأسس والمعالم للتمكين الحضاري؛ وهذه تقوم على فاعليّة الانسان الذي يعتبر محور البناء الحضاري.

٢- اتّخاذ الجماعة والتي بدورها تعتبر أحد شروط النهضة للبناء الحضاري؛ فالجماعة منطلقها الانسان الذي يعتبر بحدّ ذاته المحرّك الأوّل للجماعة، فالتماسك الاجتماعي والنصرة التي لقيها سيدنا عيسى عليه السلام من الحواريين وتأييده كان لها الدور الفعال في البناء الحضاري للإنسان.

٣- إنّ الجانب الأخلاقي وليس المقصود به الأخلاق الفلسفيّة وإنّما الأخلاق من الناحيّة الاجتماعيّة التي تعتبر منحة ربّانية من شأنها أن تولد معها الحضارات كانت موجودة في البناء الحضاري في دعوة سيدنا عيسى عليه السلام.

٤- إنّ التأييد المادي في الدعوة إلى الله خصوصاً، وفي البناء الحضاري للإنسان المسلم عموماً لها دور فعال في تسريع وتيرة البناء فكلّما كان التأييد المادّي وتعزيز الجانب العلمي والبحث كلما رفع التحدّي وكلّما رفع التحدّي في الأمّة كان الإنتاج العلمي والثقافي والأدبي والذي بذاته يعتبر من عناصر البناء الحضاري المتّزن للأمّة.

٥- إنّ الأسرة تعتبر أحد أهم العملية الحضاريّة للإنسان، فتقديم فردٍ صالح للمجتمع من شأنه أن يساهم في البناء الاجتماعي وأن يكون له الدور الفعال في ذلك، فمن خلال وقفات مع قصّة سيدنا عيسى عليه السلام أشار إلى الحالة الأسريّة التي جمعته بأمّه مريم عليها السلام دليلٌ واضح بأنّ الأسرة لها شأنها ومكانتها في بناء الصرح الحضاري للأمّة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. **اسهامات السنة النبوية في بناء الحضارة الإنسانية.** عفاف عبد الغفور. مجلة معارف القرآن والسنة. العدد الأوّل. ٢٠٠٥م. ص١٤٢-١٤٣.

٢. **التفسير البسيط.** أبو الحسن علي النيسابوري. تحقيق: لجنة علميّة بجامعة الإمام محمّد بن سعود. السعوديّة: جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة. ط١. ١٤٣٠هـ.

٣. **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه.** أحمد بن عبد الله الزهراني. السعوديّة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. د.ط. ١٤١٠هـ.

٤. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري.** محمّد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: محمّد زهير بن ناصر. لبنان: دار طوق النجاة. ط١. ١٤٢٢هـ.

٥. **لباب التأويل في معني التنزيل.** علاء الدين علي بن محمد الخازن. تحقيق: محمّد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلميّة. ط١. ١٤١٥هـ.

٦. **المنظومة المتكاملة في بناء الحضارة الإنسانية.** أشواق حسن علي الأبيض. مجلة أبحاث. العدد الأول. مارس ٢٠٢٣.

٧. **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام.** حمود ابن فرج الرحيلي. السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلاميّة المدينة المنورة. ط١. ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.